# متابعات وقراءات

#### بلال ضاهر (\*)

# اعترافات استخباراتية: حرب تشرين ١٩٧٣ وصوغ التقويمات القومية وحدود قدرة الاستخبارات!

(\*) تحتل القضايا الأمنية والعسكرية مكانا بارزا في إسرائيل، وبطبيعة الحال فإن هذا ينعكس أيضا على الكتب التي تصدر حولها. وفي الشهور الأخيرة صدرت عدة كتب تتناول قضايا أمنية وعسكرية. واللافت أن قسما منها يركز، بالأساس، على حرب تشرين في العام ١٩٧٣، المعروفة في إسرائيل بـ «حرب يوم الغفران». ويمكن القول: إن الإسرائيليين لم يُشفوا من هذه الحرب، ومن مفاجأتها وسيرها ونتائجها، حتى يومنا هذا. وبسبب وجود عدد كبير، نسبيا، من الإسرائيليين العسكريين، سواء في الخدمة الدائمة والنظامية أو في قوات الاحتياط، فإن الكتب التي تتناول هذه القضايا العسكرية والأمنية تلقى رواجا.

في هذا السياق سنستعرض في السطور التالية كتابين صدرا مؤخرا، يربط بينهما الجانب الاستخباراتي، ورؤية أجهزة

الاستخبارات في إسرائيل.

الكتاب الأول بعنوان «بعينين شاخصتين، رئيس الموساد يحذر: هل إسرائيل مصغية؟»، وهو من تأليف تسفي زامير، رئيس الموساد بين السنوات ١٩٦٨ و ١٩٧٤. وهذا يعني أن زامير كان يرأس الموساد في فترة حساسة تقع بين حرب الأيام الستة في العام ١٩٦٧ وحرب تشرين ١٩٧٣ وخلال فترة هذه الحرب الأخيرة. ويتناول زامير في كتابه فترة الشهور التي سبقت حرب تشرين وفترة الحرب نفسها ثم يصل إلى استنتاجات تتمثل في أن إسرائيل لم تستخلص عبر إخفاقات القيادة العسكرية والسياسية في هذه الحرب حتى اليوم. وكان للموساد، ولزامير شخصيا أيضا، دور بارز في فترة ما قبل الحرب والتحذير منها، من خلال شخص أشرف مروان، وهو صهر الرئيس المصري جمال عبد الناصر، ومستشار خلفه الرئيس أنور السادات. ومروان زود الموساد بمعلومات مهمة حول كل ما يجري

\* محرّر في «المشهد الإسرائيلي»- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، مدار.

129

<u>قطایا</u> اساشلیة



غلاف كتاب "بعينين شاخصتين" لتسيفي زامير.

في مصر، منذ نهاية حكم عبد الناصر وحتى قبل يوم واحد من اندلاع حرب تشرين، عندما أبلغ زامير خلال اجتماعهما في لندن- «اللقاء المصيري» - بأن الحرب ستبدأ بهجوم منسق مصري - سوري، «في الغد»، أي السادس من تشرين.

لكن في إسرائيل لم يتوقف السجال، الحاد والمشحون، حول أشرف مروان، وهناك جانب، على رأسه زامير، يرى أنه كان عميلا لإسرائيل، فيما يرى الجانب الآخر، وعلى رأسه رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية («أمان») إيلي زاعيرا، أنه كان عميلا مزدوجا، وعمليا مرر رسائل من القيادة المصرية إلى القيادة الإسرائيلية. وحول هذا الخلاف دارت، ولا تزال تدور، حرب طاحنة بين زامير وزاعيرا، وخصوصا أن الأخير كشف عن شخصية أشرف مروان وأنه كان مصدر المعلومات حول مصر والتي وصلت إلى إسرائيل. ويخيل أن الصراع مع زاعيرا هو الذي دفع زامير إلى تأليف هذا الكتاب.

الكتاب الثاني بعنوان «كيف سنعرف؟ استخبارات، عمليات، سياسة»، وهو عبارة عن حوار بين رئيس «أمان» في الفترة الواقعة

بين نهاية العام ٢٠٠١ ومطلع العام ٢٠٠٦، أهارون زئيفي فركاش، وبين قائد كوماندوس فرقة النخبة الإسرائيلية «سرية هيئة الأركان العامة»، الدكتور دوف تماري. ويتناول هذا الكتاب عددا من القضايا المتعلقة بدور أجهزة الاستخبارات، وخصوصا الاستخبارات العسكرية، التي تعتبر في إسرائيل الهيئة التي تعطي التقويمات على المستوى القومي.

وانتهى فركاش وتماري من تأليف كتابهما، أو من حوارهما، في الأشهر الأولى للاحتجاجات في الدول العربية المعروفة باسم «الربيع العربي». لذلك فإن كتابهما لا يتطرق إلى دور الاستخبارات في العهد الجديد الذي بدأ في الشرق الأوسط بحلول مطلع العام الحالى.

ويختم المؤلفان كتابهما باستعراض خطوط عريضة لصور ثلاثة قادة عرب، هم الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، والرئيس السوري بشار الأسد، وأمين عام حزب الله حسن نصر الله. وهذه الخطوط العريضة هي ليست من وجهة نظر إسرائيلية فقط وإنما من وجهة نظر الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية. ولذا فإن فركاش هو المتحدث الرئيس في هذا السياق.

# الموساد في جنوب السودان

كانت إسرائيل بين أولى الدول التي اعترفت بجنوب السودان، الذي أصبح الدولة الـ ١٩٣٣ في الأمم المتحدة. وفور الإعلان عن انفصال جنوب السودان واستقلاله، في التاسع من تموز من العام ٢٠١١، بادر رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، إلى الاتصال برئيس الدولة الحديثة، سيلفا كير، وطرح عليه مساعدات إسرائيلية في مجالات عديدة، بينها المجال الأمني. وفي منتصف كانون الأول في مجالات عديدة، ينها المجال الأمني. وفي منتصف كانون الأول اتفاقيات. وتحدثت تقارير، مؤخرا، بمناسبة نية نتنياهو القيام بجولة إفريقية، في شباط ٢٠١٢، عن أنه في أعقاب التغيرات الحاصلة في الدول العربية الإفريقية وتزايد قوة الإسلاميين فيها، فإن إسرائيل ستعمل على إقامة أحلاف عسكرية مع دول افريقية غير إسلامية.

ويؤكد زامير في كتابه على أن العلاقة بين الموساد والميليشيات في جنوب السودان بدأت منذ عقود. وكتب أن «العلاقة بين الموساد وسكان جنوب السودان بدأت في العام ١٩٦٩ وحتى العام ١٩٧٧». وأردف أن رئيسة الحكومة الإسرائيلية حينذاك، غولدا

مئير، «سمحت لي بتقديم مساعدة بعد أن أخبرتها بالشعبية والدعم من جانب كينيا وأثيوبيا لهذه المساعدة، وفقط بعد أن دققت جيدا ما إذا كانت موجهة للمسيحيين في جنوب السودان».

وأشار زامير إلى الخلفية التي دفعته إلى تقديم هذه المساعدات إلى جنوب السودان، بأن «نية حكومة السودان للاستجابة للمطلب المصري بزج وحدات سودانية في الجبهة مع إسرائيل أثارت لدينا قلقا بأن السودان سيشكل تهديدا آخر على إسرائيل. وهذا التهديد لم يكن بسبب خط الجبهة وحسب، وإنما بسبب وجود الأسطول السوداني في البحر الأحمر أيضا. وفي الفترة ذاتها وصل إلينا توجه طارئ من جانب جوزيف لاغو، قائد جبهة تحرير جنوب السودان، «أنيانيا»، التي دخل أفرادها في مواجهات، مسلحين بالقوس والنشاب، مع مقاتلي جيش السودان المسلحين بأسلحة عصرية».

وقبل اتخاذ إسرائيل قرارا بشأن تقديم مساعدات عسكرية للمتمردين في جنوب السودان، سعى زامير إلى التأكد من أن الدول الإفريقية المجاورة لا تعارض مساعدات كهذه. ولهذا الغرض التقى مع الرئيس الكيني، جومو كنياتا. وأضاف زامير أن رئيس أركان الجيش الأوغندي في حينه، عيدي أمين، كان يؤيد المتمردين، لأن الكثيرين من أبناء قبيلته كانوا يعيشون في جنوب السودان. كذلك حصل زامير على موافقة رئيس المخابرات الأثيوبية «الذي أيد بحرارة مساعدة المتمردين».

وفي أعقاب ذلك استقبلت رئيسة الحكومة الإسرائيلية في مكتبها لاغو، الذي استعرض أمامها الوضع المزري الذي يعاني منه سكان جنوب السودان، وطلب مساعدة عسكرية. وأكد زامير أن «مساعدتنا تمثلت في تسليح قوات جنوب السودان وإرشادها. . . وتمكنت من تهديد وضرب سفن كانت تبحر في النيل الأبيض. وقد تم إسقاط أسلحة ولباس عسكري من الجو بواسطة طائرات سلاح الجو الإسرائيلي، التي تزودت بالوقود في مطار نيروبي في كينيا. . . كذلك خدم أطباء إسرائيليون في جنوب السودان». وتشكل هذه المساعدات الإسرائيلية للمتمردين في جنوب السودان خلفية لبداية العلاقات بين الجانبين.

ولفت زامير إلى أن هذه العلاقات ساعدت في الحملة الإسرائيلية لدفع الفلاشا الأثيوبيين، الذين يعتبرون تيارا في اليهودية، إلى الهجرة إلى إسرائيل. كما أن العلاقات مع كينيا ساعدت إسرائيل في عملية تحرير الرهائن في مطار عينتيبة في أوغندا، بعد أن اختطفها

فدائيون فلسطينيون. وشدد على أنه «لا شك لدي في أن المساعدات التي قدمناها في الماضي ساعدت في تأسيس العلاقات مع دولة جنوب السودان الحديثة»، مشيرا إلى أن جوزيف لاغو يعمل اليوم مستشارا لرئيس دولة جنوب السودان.

# أشرف مروان . . «العميل الأفضل»

قضية المصري أشرف مروان، صهر الرئيس جمال عبد الناصر، هي واحدة من أبرز القضايا التي تخللتها فترة رئاسة زامير للموساد، إلى جانب حرب تشرين العام ١٩٧٣. وهاتان القضيتان متداخلتان بشكل كبير. ويصف زامير مروان بأنه «العميل الأفضل» الذي كان لإسرائيل في تاريخ أجهزة استخباراتها. وإن لم تكن قضية أشرف مروان الدافع الرئيس وراء تأليف هذا الكتاب، فإنها من أهم القضايا التي دفعت إلى تأليفه، إلى جانب استنتاجاته لأسباب الإخفاق الإسرائيلي الكبير في الحرب وخصوصا عدم توقع نشوبها. فزامير يعتبر أن مروان، الذي التقى معه عشرات المرات، كان عميلا لإسرائيل. بينما رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية («أمان») في حينه، إيلي زاعيرا، يؤكد أن مروان كان عميلا مزدوجا، زرعته المخابرات المصرية ليوصل معلومات لإسرائيل بغية تضليلها. واللافت أن زامير لم يذكر زاعيرا بالاسم في كتابه بغية تضليلها. واللافت أن زامير لم يذكر زاعيرا بالاسم في كتابه

وسعى زامير في كتابه إلى التحدث عن مروان من زاوية شخصية ، وشرح أجواء وتفاصيل الاجتماعات بينهما . ووجه قراءه ، الذين يرغبون في الاطلاع على تفاصيل واسعة حول مروان ودوره في حرب تشرين إلى كتاب بعنوان «الملاك» ، وهو من تأليف أستاذ العلوم السياسية في جامعة حيفا ، البروفسور أوري بار - يوسف ، وصدر قبل عامين تقريبا .

وحقيقة أن مروان كان صهر عبد الناصر، جعلت الموساد و"أمان" يشككان فيه. فهو الذي بادر إلى التوجه إلى سفارة إسرائيلية في أوروبا، وتم صرفه منها. لكن أفراد الموساد علموا بذلك صدفة وأجروا اتصالا أوليا معه، في منتصف العام ١٩٦٩ تقريبا. وكتب زامير أن «البداية كانت حذرة ومدروسة. قلنا لأنفسنا: دعونا نتعقبه ولنرى كيف ستتطور الأمور. وبعد أن اتضح أن مروان يسلم المواد التي يطلبها منه مشغله [في الموساد]، ويدور الحديث عن مواد بنوعية عالية، وبموجب تدقيق أمان فإنها مواد موثوق بها أيضا، وصلنا

إلى مرحلة ينبغي فيها اتخاذ قرار حول كيف نستغل ونستنفد القدرة الكامنة في المصدر من دون تشكيل خطر عليه، أي كيف نرتقي طابقا، لأنه في نهاية المطاف، مروان منحنا إطلالة أولى وقريبة إلى الغرف المغلقة للنظام المصري».

وأضاف زامير أنه في اللقاءات الأولى، زود مروان ضابط الموساد الذي شغله بمعلومات مهمة تناولت جميعها مسائل عسكرية، وأنه «سلّم شفهيا وخطيا أمورا هو نفسه لم يكن خبيرا فيها. لكن يبدو أنه أدرك أن هذه المواد ستكون بطاقة دخول إيجابية من وجهة نظرنا. وكأنه تفاخر أمامنا 'أنظروا ماذا بإمكاني أن افعل'. لكن عدا المواد العسكرية الخالصة، كان واضحا لنا أنه بسبب موقعه في المجموعة المحيطة بالرئيس [عبد الناصر في حينه]، فإن بإمكان مروان تزويدنا أيضا بأجوبة على أسئلة أساسية سياسية وإستراتيجية ونافذة من الدرجة الأولى. فالجيش والدولة كانا مندمجين. وكان المقصود، على سبيل المثال، صواريخ أرض – أرض وصواريخ مضادة للطائرات حديثة وكانت، عمليا، الرد المصري والسوري على تفوق سلاح الجو حليثة وكانت، عمليا، الرد المصري والسوري على تفوق سلاح الجو الإسرائيلي. . . . وأحضر معلومات حول نية المصريين والسورين

אהרן זאבי פרקש דב תמרי

ואיך נדע מודיעין מבצעים מדינאות

غلاف كتاب "كيف سنعرف؟ استخبارات، عمليات، سياسة".

الاستعداد لجولة جديدة من القتال تحت غطاء هذه الأسلحة».

بعد ذلك قرر الموساد أن يلتقي زامير شخصيا مع مروان، وذلك على أثر توقعات أنه بسبب مكانة الأخير وعلاقاته فإن «أفضليته ستكون في المواضيع التي تجرى في المستويات المصرية العليا». وأمل زامير بأن «لقاءه معه سيسهم إسهاما خاصة وأكبر مما اعتدنا عليه حتى الآن». وتمحور اللقاء الأول بينهما حول «التغييرات التي أجرتها القيادة المصرية في بنية الجهاز القيادي، وتغيير القيادة في المناصب المركزية وتفسير هذا الإجراء. وأوضح مروان أن التوجه الماثل خلف هذه الخطوات، هو أن جنرالات ناصر [أي الرئيس عبد الناصر] كانوا متشككين حيال خطة [نائب الرئيس وخلفه في الرئاسة أنور] السادات لشن غزو عسكري محدود في سيناء ليشكل رافعة لخطوة سياسية . وكانوا متمسكين بحلم ناصر باحتلال كل سيناء، ولأنهم عرفوا أن هذا الحلم ليس واقعيا طالما لم تتزود مصر بمنظومات أسلحة متقدمة لتحييد التفوق الإسرائيلي، فإنهم لم يسارعوا إلى تأييد أية خطوة عسكرية إلى حين تسنح الظروف. وقد بحث السادات عن جنرالات يتماثلون مع خطته العسكرية ، وأكثر إخلاصا ، ويوافقون على نظرية 'القتال بواسطة ما هو متوفر'».

#### «اللقاء المصيري»

حسب زامير فإن أهمية مروان لم تقف عند كونه صهر عبد الناصر فقط، بل أصبح «كاتم أسرار الرئيس الجديد، وبإمكانه أن يقربنا كثيرا من هذه الغاية». والتقى زامير مرات عديدة مع مروان «معظمها بمبادرته... وتعمقت علاقاتنا الشخصية خلال هذه اللقاءات... وكانت هناك أيام أو ليال، نزلنا فيها في الفندق نفسه وكنا نلتقي يوميا من أجل تنفيذ مهمات».

وأشار زامير إلى أنه خلال محادثاته مع مروان لم يدخل في مواضيع تقنية وتنظيمية لأنه فعل ذلك آخرون في الموساد، ولأنه «كلما تطورت العلاقة بيننا، كنت أعجب بعمق معرفة مروان بجهاز صناعة القرار المصري واتساع الصورة التي كانت مكشوفة أمامه. وعلمت منه عن المداولات الجارية في أعلى المستويات في مصر، وفي المؤسستين السياسية والعسكرية، وموافقة ليبيا على أن تضع تحت تصرف المصريين طائرات ميراج قادرة على التحليق لمسافات طويلة وصواريخ أرض – أرض لكي يكونوا قادرين على مهاجمة أهداف في عمق إسرائيل. كما أنه كان يعرف علاقة هذه الخطوة بخطة

السادات الكبرى» المتعلقة بتحرير سيناء بعملية عسكرية محدودة تليها خطوات سياسية تؤدي إلى انسحاب إسرائيلي .

وأضاف زامير أن مروان سلم معلومات مفصلة، وزعها الموساد كما هي، بموجب قرار اتخذه الأول، على «أمان» والقيادة السياسية ذات العلاقة، منذ نهاية العام ١٩٧٢، وأن القسم السياسي من خطة السادات الإستراتيجية أثار اهتمامه وأراد أن يعرف ما إذا كانت دول أجنبية قد اطلعت عليها. وكان مروان يستعرض أمام رئيس الموساد التطورات السياسية والإستراتيجية في مصر إلى جانب أحاديث داخلية لا قيمة لها ووصف للخصومات بين السياسيين المصريين.

ووصف زامير شكل مجرى الأمور خلال لقاءاته مع مروان، وكتب أن «مروان كان يحاضر بحماسة ، وأنا كنت أصغى بالأساس. إن وجوده في محادثات السادات مع الجنر الات مكنتني من الدخول إلى غرفة المداولات - كأنني حاضر في الغرفة فعلا. وبهذه الطريقة أشركني بالمداولات التي كانت تجري بين السادات وجنرالاته ومساعديه حول مواضيع إستراتيجية وأمكنني أن أطرح أسئلة كما لو أننى أحد المشاركين في المداولات، وهو ما لم يكن بالإمكان استيضاحه لو كنا نتلقى تلخيصا خطيا للمداو لات فقط. وكانت هناك عدة مواضيع مهمة بشكل خاص كنت أعود وأتحدث معه حولها. وفي جميع المحادثات تقريبا كنا نعود للتحدث عن الأسباب التي ترشد السادات في استئناف الأعمال العدائية. وعلمنا من مروان أنه على الرغم من المرات التي صرح السادات فيها بتوقيت متوقع للحرب ولم يلتزم بها، فإنه فيما يتعلق بالعام ١٩٧٣ كان الوضع مختلفا. فقد عرف مروان جيدا الأجواء التي يعيش فيها السادات وكان مقتنعا بأنه في الظروف الناشئة لن يتمكن الرئيس المصري من التراجع. ففي هذه المرحلة أصبح هناك إطار لخطة عسكرية محددة، تعرفنا عليها من مروان أيضا، ومصر اقتنت العتاد المطلوب لتطبيقها. وبعدما توفرت الخطة والعتاد، لم يبق أمام السادات سبب أو ذريعة لإرجاء الحرب، وهذا الأمر كان يدركه المحيط المقرب منه والذي اختبر قدرته القيادية وإصرار الرئيس الجديد نسبيا».

وأضاف زامير أن مروان، خلال اللقاءات بينهما، أفاد بأنه «خلافا لناصر وبصورة متطرفة، لم يصر السادات على إخلاء سيناء في إطار نجاح عسكري، وكان يفضل تحقيقه من خلال عملية سياسية. وقراره شن الحرب جاء عندما اتضح له أنه خلال لقاء بين زعيم الاتحاد السوفياتي، ليونيد بريجينيف، والرئيس الأميركي، ريتشارد

نيكسون، خلال العام ١٩٧٣، لم يبحثا في مطلب مصر الانسحاب من سيناء. بينما خلال لقاء حافظ إسماعيل، مستشار الأمن القومي المصري، مع هنري كيسنجر، وزير الخارجية الأميركي، قبل ذلك، في مطلع العام ١٩٧٣، رفض كيسنجر طلبه». واقتبس زامير من كتاب للسادات صدر لاحقا أن كيسنجر قال لإسماعيل إن الولايات المتحدة لا تستطيع مساعدة مصر أبدا طالما أن مصر هي الجانب المهزوم في حرب الأيام الستة وإسرائيل تحقق بنفسها تفوقا. ويستنتج زامير أنه «في وضع كهذا أيقن السادات أنه لا مخرج سوى بعملية عسكرية تضع تحديا أمام هذا التفوق الإسرائيلي».

وأطلع مروان زامير على زيارات السادات لدول عربية وخصوصا السعودية وليبيا للحصول على مساعدات مالية، وأنه كان يقول لزعماء هذه الدول إنه لا مفر أمامه سوى الحرب، لكنه لم يبلغهم بتوقيت نشوبها. وحسب زامير فإن «مروان قال أكثر من مرة إن كل شيء يعرفه السعوديون يصل إلى الأميركيين».

وقبيل فجر الرابع من تشرين الثاني ١٩٧٣ أجرى مروان اتصالا مع الموساد طلب فيه التقاء زامير من أجل التحدث حول الحرب، وشدد على ضرورة عقد اللقاء وحدد مكانه وموعده. ويقول زامير إنه «اتضح لي من دون أن أحقق معه حول سبب عدم قوله خلال المحادثة الهاتفية أن الحرب ستنشب في السادس من تشرين الأول. . . في تقديري أن مروان لم يرغب في أن يقول لي أن الحرب ستنشب من دون أن يضيف الخلفية والحقائق المكملة [لصورة الوضع] والتحفظات المحتملة، والتي بموجبها إذا تغيرت الظروف في اللحظة الأخيرة، فإن السادات قد يتراجع عن النية بشن الحرب».

ولدى لقائهما، في لندن، أبلغ مروان زامير بأنه وصل إلى أوروبا ضمن طاقم مصري وأن الانفصال عنه لم يكن سهلا. ويرى زامير أنه «لو كان عميلا مزدوجا، مثلما تدعي فرية الكذب [أي رأي زاعيرا]، لكان أمامه خياران ناجحان في أن يضلل إسرائيل والحفاظ على [عامل] المفاجأة الكاملة: الأول هو أن لا يحضر إلى اللقاء أبدا وأن يبقينا في الضباب، والثاني هو أن يحضر ويعمل بكل قدراته من أجل إقناعي أن هذه ليست حربا وإنما 'مناورة'. لكنه جاء". وأبلغ مروان زامير في هذا «اللقاء المصيري» أن «الحرب ستنشب غدا في مروان زامير في هذا «اللقاء المصيري» أن «الحرب ستنشب غدا في سوري». بعد ذلك اتصل زامير بمدير مكتبه وأبلغه، بلغة مشفرة، بالمعلومات التي حصل عليها في هذا اللقاء.

# عميل أحادي أم عميل مزدوج؟

أشار زامير إلى أمرين يتعلقان بلقاءاته مع مروان. الأمر الأول هو أنه كان يحذر مروان من تصرفاته «التي لم تكن حذرة بالشكل الكافي»، والتخوف من كشفه، لكنه كان يقول دائما إنه لا يتعين على زامير أن يقلق من هذه الناحية. والأمر الثاني يتعلق بتصرفات مروان خلال لقاءاته مع زامير، إذ كان هادئا أحيانا ومتوترا أحيانا أخرى. وفي خلفية هذين الأمرين كانت تنتاب زامير شكوك حيال مصداقية مروان، وأن «هذه المسألة لم تفارقني حتى بعد عودتي إلى البلاد وقراءة التقرير الخطي [الذي كان يسجله ضابط في الموساد]. كنت أشك طوال الوقت. فعلى الرغم من كل شيء، مروان لم يكن سيفلس. وكانت لديه مكانة في القيادة المصرية. كان مواطنا مصريا وليس صهيونيا. كان جزءا من مجموعة. وأدركنا أيضا أنه عندما كانت علاقاته متوترة مع حماه ناصر، فإنه يبقى جزءا من العائلة الأولى في مصر، ورغم خلك أقام علاقة مع إسرائيل، العدو رقم واحد».

رغم هذه الشكوك فإن زامير توصل إلى استنتاج نهائي بأن مروان لم يكن عميلا مزدوجا. واعترف أيضا أنه لم يسأله أبدا عن سبب اتصاله بإسرائيل والتجسس لصالحها. وذكر أن «غولدالم تتمكن من الفهم حتى النهاية كيف يمكن أن يكون صهر ناصر عميلا إسرائيليا». وعندما توفي عبد الناصر أصيب مروان بأزمة وخاف على مكانته. لكن سرعان ما تبين له أن مكانته بقيت كما هي. فقد كان الرئيس السادات يصطحبه في زياراته إلى الدول العربية «كي يثبت أن نظامه مرتبط بعائلة ناصر أيضا. وكان السادات أحيانا يصطحبه هو فقط، من أجل إبراز حقيقة أنه ساعده الأيمن. هكذا فعل عندما زار السعودية ودول الخليج وليبيا أيضا. ومن هذه الناحية كان أشرف مروان مهما لنا. وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يكن احتراما كبيرا للسادات، وتحدث عنه باستخفاف أكثر من مرة».

وأضاف زامير أن «المهم هو أن أمان تلقى منذ بداية الاتصال مع مروان جميع المواد ونص المحادثات كما هي ، لأنه كان مسؤولا عن فحص مصداقية تقاريره ولم يجد ذرة معلومات تثير الشكوك». وكتب في مكان آخر «حاولت ألا أحكم عليه، ولم أمتحنه أبدا بمصطلحات الوطنية أو الإخلاص لشعبه ودولته. أليس أساس صداقتنا هو المعرفة أنه ليس وطنيا. بينما أنا، كل عملي يستند على كوني وطنيا. كيف ينجح هذا؟ لا أعرف».

لكن زامير عاد للحديث عن الأسباب التي دفعت مروان ليصبح

عميلا للموساد. وكتب في تحليل شخصيته «علي أن أعترف أن أشرف مروان ليس شخصا مثيرا للإعجاب بشكل خاص، ووصل إلى ما وصل إليه - في دائرة النخبة المصرية العليا - ليس بفضل الدكتوراه في الكيمياء التي يحملها، وإنما بفضل علاقته مع حماه - الرئيس ناصر... وهو لم يفكر بمصطلحات مثل العلاقات بين مصر وإسرائيل. لقد خدم أشرف مروان نفسه ولم يشغله شيء عدا هذا. ورأيه بالسادات تغير وفقا لما يعود بالفائدة على مروان... هناك جواسيس لدوافع أيديولوجية. مروان لم يكترث بذلك. وفي تقديري أنه لو تحقق السلام مع إسرائيل في الفترة التي كنا فيها على اتصال لفرح، لكنه اعتقد أنه لا يوجد دور له في هذا. وهو لم يسأل عن إسرائيل أبدا، ولم يطلب أبدا أن نستجيب لأمر أو لحاجة مصرية. وفي المجمل انشغل بثرائه، وأكثر من ذلك بمكانته. لقد كان ينتمي إلى النخبة، وهي مجموعة يجري التنافس فيها بين من لديه أكثر. وهو استثمر خارج مصر».

بعد حرب تشرين التقى زامير مع مروان مرة واحدة. وكتب أنه «لم يخف ذهوله من نتائج الحرب ونزولها علينا بشكل مفاجئ، إذ أنه افترض أن الصورة كلها كانت واضحة لنا طوال الوقت». ويلمح زامير بذلك إلى أن «أمان»، ورئيسه زاعيرا، الذين اطلعوا على المواد التي أحضرها الموساد من مروان حول ما يدور في مصر، وبضمنها تفاصيل الخطة الحربية المصرية، لم يقتنعوا بأن الحرب ستندلع، وأن زاعيرا ظل يقول حتى قبل يوم واحد من بدء الحرب أنها لن تندلع. ويفسر زامير ذلك بأن زاعيرا كان يعتقد طوال الوقت أن مروان هو عميل مزدوج. وكان زاعيرا قد كشف في العام ٢٠٠٤ أن مروان هو العميل الذي كان مصدر المعلومات التي تلقتها إسرائيل من داخل القيادة المصرية مشددا على أنه عميل مزدوج. لكن زامير يتهم زاعيرا بأنه قبل ذلك بسنوات سرب اسم مروان إلى صحافيين ونشر أحدهم بأنه عميل إسرائيلي ويرجح أنه كان عميلا مزدوجا.

#### استنتاجات زامير

يقول زامير في كتابه إنه «منذ مطلع العام ١٩٧٣ أشرنا، أفراد الموساد وأنا بينهم، إلى معلومات تربط بين انعطاف في إستراتيجية السادات، وهي إستراتيجية مختلفة عن تلك التي انتهجها سلفه، وبين الخطط الفعلية لتحقيقها وعملية اقتناء العتاد العسكري بحجم كبير، الذي بالإمكان تفسيره فقط بأنه استعدادات للحرب.

وكرئيس للموساد، الذي لم تكن مهمته الرسمية تقييم المعلومات [الاستخباراتية]، بحثت عن طرق أتمكن من خلالها تقويض التقييم الذي يدعو إلى الهدوء والذي استعرضه باستمرار أمان، المسؤول عن تقييم المعلومات الاستخباراتية القومية. وفقط في الخامس من تشرين الأول، عندما تلقى الموساد إخطار مروان بشأن تاريخ بدء الحرب، أدى ذكر التاريخ الصريح إلى التغيير، واخترق أسوار العناد المستغرب للقيادة، وأدى لاتخاذ قرار بتجنيد الاحتياط».

ورأى زامير أن «عبر هذه الحرب لا تتعلق بالجيش وحده، وإنما هي عبر للدولة كلها. ويسود لدي الانطباع أحيانا بأنه لم يتم استخلاصها على أمل ورغبة بالتسبب بنسيان ما حدث. . . وكأن الانشغال بهذه العبر هو بحث في جروح الماضي التي لا فائدة منها للحاضر والمستقبل. ومن الجائز أن هذا هو التفسير لما تم نشره ولم يتم نفيه، وبأنه تم منع دائرة التاريخ في الجيش الإسرائيلي من نشر أبحاثها حول حرب يوم الغفران. إني أتمنى وآمل أن يصحح كتابي هذا الخلل الخطير الكامن في هذا التوجه».

وأضاف أن إحدى العبر الجوهرية للغاية هي «الحاجة إلى تغيير بنية الهيئات التي تعمل في بلورة تقويمات المعلومات الاستخباراتية على المستوى القومي. وحتى رئيس أمان ونائبه إبان الحرب شددا على مدى تأثرهما بالأجواء في شعبة العمليات العسكرية، أي التصريحات الاستعلائية لضباط الجيش الذين استخفوا بالقدرة المصرية والسورية. وهذه الأجواء، التي أسميها 'خطيئة الاستعلاء'، تغلغلت طوال سنين إلى أروقة أمان وغطت أعينهم رغم المعلومات حول الحرب المتوقعة. ورغم أن رئيس أمان ونائبه أشارا بنفسيهما إلى العواقب الضارة لهذا التغلغل على تقويمات الاستخبارات، فإنه لم يتجرأ أحد، في دولة إسرائيل والجيش ومكتب رئيس الحكومة ووزارة الدفاع ولا في أية هيئة مراقبة رسمية، على طرح الحاجة إلى إحداث تغيير بنيوي كموضوع ينبغي البحث فيه على المستوى العام أيضا».

وانتقد زامير الصحافة في إسرائيل أيضا مؤكدًا أنها»أعفت نفسها من التعامل بجدية مع موضوع العبر البنيوية لحرب يوم الغفران، واكتفت غالبا بعناوين النميمة السطحية بشأن 'حرب الجنرالات'». وكتب "أنتم [الصحافة] ملزمون بدراسة ما حدث. ولستم معفيين من ذلك ولا من استخلاص العبر». وخلص إلى التحذير من أن «عواقب حرب يوم الغفران ترافقنا حتى هذا اليوم. وإذا لم يتم

التعامل مع الإخفاقات المختلفة ، فإننا قد نعود إلى دفع ثمن غال».

#### الاستخبارات بين الحربين

يتطرق فركاش وتماري من خلال حوارهما في كتابهما «كيف سنعرف؟ استخبارات، عمليات، سياسة» إلى عمل أجهزة الاستخبارات وأدائها وأهميتها.

يقول تماري «خضنا حروبا عديدة. وبعدها قلنا: إن الاستخبارات زودت البضاعة كما توقعنا منها، أو أن الاستخبارات فشلت وأفشلت الجيش الإسرائيلي والدولة. . . ثمة ظاهرة تتكرر، وهي أنه بعد نجاح عسكري واستخباراتي، تغط أجهزة الاستخبارات ورؤساء والسياسيون بكل بساطة في سبات. رجال الاستخبارات ورؤساء الأجهزة لا يذوتون الواقع الجديد، الذي يستوجب تغيير الأنموذج في طريقة البحث الاستخباراتي، وفي مصطلحات مبلورة وحتى في التنظيم. أليس هذا ما حدث لنا بعد حرب الأيام الستة، التي كانت ناجحة من الناحية العسكرية. الاستخبارات لم تغير وجهة نظرها، فيما المدى تغير كله من النقيض إلى النقيض. وعندما أستعبد ماذا قالت الاستخبارات بعد حروب الأعوام ١٩٥٦ و ١٩٧٧ و٣٧٠ منح التحذير في الوقت المناسب وأكثر من ذلك. لكنها لم تقل إلى أين يسير العالم من حولنا وإلى أين نسير نحن، وفي هذه القضية لم يكن للاستخبارات وزن».

ورأى تماري أن الاستخبارات الإسرائيلية أخطأت لأنها لم تفحص المستجدات في أعقاب حرب الأيام الستة لكي تطلع قيادة الجيش والقيادة السياسية على الوضع الجديد الناشئ في أعقاب احتلال أراض عربية واسعة، وأنه تعين على الاستخبارات التدقيق في «ما هي التوجهات المتبلورة في الشرق الأوسط وكيف ستكون انعكاساتها على إسرائيل؟ أو كيف سيكون رد فعل الدول العظمى على العمليات التي نفذناها خلال حرب الاستنزاف؟ ومن أجل إعطاء مثال حول خطورة الوضع فإني أذكر هنا التغييرات التي مرت على الجيش المصري بين الأعوام ١٩٦٨ و ١٩٧٣. الحديث يدور هنا عن انقلاب مفاهيم كبير للغاية، ولا اقصد فقط زيادة حجم القوات ثلاثة أضعاف والتسلح المتقدم بشراء أسلحة من الاتحاد السوفياتي وإنما لمفهوم تفعيل القوة العسكرية، الذي لاءم الضعف الأساسي للجيش المصري وجنوده والحرب المقبلة أيضا، التي كانت

غايتها مواجهة المفهوم الأمني الإسرائيلي وتقويضه. وليس لطيفا الاعتراف، بأن التفكير المصري في هذه السنوات تفوق كثيرا على مفهوم تفعيل القوة في الجيش الإسرائيلي خلال السنوات ١٩٦٨ - ١٩٧٣... والأبحاث المعمقة لشعبة الاستخبارات وصفت جيدا حال الجيش المصري لكنها لم تتطرق إلى جوهر التغيرات وانعكاساتها».

وتابع تماري الحديث عن حرب الأيام الستة ، قائلا: إنه "عندما كان واضحا أنه لا مفر من الحرب، فقد كان واضحا أيضا أن انجازاتها ونهايتها ستكون بالقضاء على قوات واحتلال أراض، لأن هذا هو مفهوم تفعيل القوة الوحيد الذي كان يعرفه الجيش الإسرائيلي في حينه. ومنذ اللحظة التي احتللنا فيها أراضي، فإن الشرق الأوسط كله تغير، لأن الأرض ما زالت العملة التي ترفض دول كثيرة المساومة عليها. إضافة إلى ذلك فإنه حتى العام ١٩٦٧ لم تكن لدى دولة إسرائيل قضية فلسطينية ، وبقدر معين لم تكن لدى الدول العربية أيضا. كانت هناك قضية لاجئي ٤٨. وبعد انتهاء الحرب مباشرة نشأت القضية الفلسطينية ، ونحن وضعناها كلها على كاهلنا. وحسب معلوماتي فإن شعبة الاستخبارات لم تقل شيئا في هذا الخصوص».

من جانبه أشار فركاش، الذي أنهى مهامه كرئيس لـ «أمان» في مطلع العام ٢٠٠٦، إلى أنه «على الرغم من الانتقادات المتعددة السنوات تجاه الاستخبارات، إلا أن مستوى الاستخبارات جعل القادة السياسيين والعسكريين يعتادون على أن ينظروا إليها كعامل إيجابي في فهم الواقع واتخاذ القرارات»، مؤكدا على أنه «ليس دائما كان بالإمكان الحصول واستعراض كافة المعلومات الاستخباراتية المطلوبة. ففي حرب لبنان الأخيرة [في صيف العام ٢٠٠٦]، وعندما توفرت معلومات استخباراتية ممتازة وكانت بمتناول كل من أراد الاطلاع عليها، بقى السؤال كيف يفهمون وكيف يستخدمون هذه المعلومات؟». واعترف فركاش بحدود قدرات الاستخبارات الإسرائيلية بقوله إنه «ما زال من المستحيل معرفة كل شيء والتحذير من اختطاف جنود على يد حزب الله في اليوم والساعة الدقيقين. وعلينا أن نعتاد على التعايش مع واقع متواصل ليس كل شيء فيه معروف مسبقا. وهذا الأمر يستوجب جهوزية لمنع [هجمات] باستمرار من دون توفر معلومات مسبقة. وهذا ليس سهلا، وربما أنه يستحيل أن نمنع بشكل مطلق اختطاف جنود حتى لو توفرت

معلو مات استخبار اتبة كاملة».

والأمر الثاني الذي أشار إليه فركاش هو أن «كل من يذهب إلى أرشيف الجيش الإسرائيلي ويطلع على وثائق هيئة الأركان العامة بين السنوات ١٩٥١ – ١٩٦٧، والتي وضعتها هيئة الأركان العامة وجميع دوائرها ودائرة التخطيط وحتى شعبة الاستخبارات، سيرى أنهم فكروا طوال السنين بالتوسع الإسرائيلي بواسطة الحرب، لأي سبب كان، من أجل ضم أراض إضافية بعيدا عن خطوط وقف إطلاق النار. وهذا لم يكن سرا والقادة السياسيون عرفوا ذلك لكنهم لم يعلقوا عليه. وهكذا فإن احتلال الأراضي بالحجم الذي حدث في حرب الأيام الستة كان أبعد بكثير من هدف الحرب، وهو 'إزالة التهديد عن دولة إسرائيل'. وهناك من يصفون السياسة وهو 'إزالة التهديد عن دولة إسرائيل'. وهذا ليس دقيقا. فقد كانت سياسة '[عدم التنازل عن] أي شبر' وهذا ليس دقيقا. فقد كانت السياسة '[احتلال] شبر آخر'».

# التفوق الاستخباراتي

يقول تماري، في محاولة لتفسير مصطلح «التفوق الاستخباراتي»: إن هذا المصطلح ليس سهلا تجسيده مثلما هو حال «التفوق الجوي» مثلا. ولذلك لجأ إلى أمثلة واقعية من الحربين اللتين شنتهما أميركا على العراق في العامين ١٩٩١ و ٢٠٠٣. وقال: إن «الاستخبارات الأميركية كانت تغطى العراق بشكل مطلق، واعترضت وحلت لغز أية حركة وأي استعدادات ومعظم المواد التي نشرتها وسائل الاتصال العراقية العسكرية والسياسية. ولم تكن التغطية الاستخباراتية الأميركية المطلقة للعراق كافية. ومنذ إطلاق الرصاصة الأولى، في الحرب [على العراق] الأولى والثانية ، هاجم الأميركيون كافة أجهزة الاتصالات العراقية ذات العلاقة ومنعوا القيادة العليا في بغداد من الاتصال مع قوات الجيش. ويعنى هذا الوضع، هو أن تعرف وترى كل شيء تقريبا، وتمنع ذلك عن العدو. وهم منعوا العدو العراقي ليس فقط مما ينبغي أن يعرفه عن القوات الأميركية ، وإنما عن القوات العراقية نفسها. لقد جعلوا الخصم ضريرا بالكامل من خلال هجوم مكثف على جميع أجهزة الرادار والاتصالات والمشاهدة الالكترونية وعلى كافة مراكز الاتصالات العسكرية والمدنية».

وأضاف تماري أن «خصما أعمى ليس قادرا على الرد على خطوات المهاجم. هذا تفوق استخباراتي مطلق، يتيح للمهاجم

أن يفعل ما يشاء فيما الجانب الذي يدافع عن نفسه لا يعرف ما هي الخطوات ولا يفهمها. وعندما يتمكن من الفهم فإن الوقت يصبح متأخرا. هذا هو التفوق الاستخباراتي الذي تشارك فيه كافة القوات والوسائل المطلوبة، وليس فقط تلك المنظمة في إطار الاستخبارات».

وأعطى تماري مثالا آخر حول «التفوق الاستخباراتي الإسرائيلي الذي حققه الشاباك على المنظمات الفلسطينية» في الضفة الغربية . واعتبر أن «منع عمليات خطيرة يستند بغالبيته على المعلومات الاستخباراتية التي يحصل عليها جهاز الأمن العام [أي الشاباك] وشعبة الاستخبارات كل يوم وكل السنة. ومن دون ذلك لكنا عانينا حتى اليوم من عمليات مشابهة لتلك التي وقعت في السنوات الأولى من الانتفاضة [الثانية]. والأمر الأساس هو أنه لا يمكن تحقيق تفوق استخباراتي إذا لم يتم إعداد بنية تحتية مكونة من قدرات كثيرة ومتنوعة قدر الإمكان قبل اندلاع الأزمة. وهذا يكلف مالا كثيرا ويستهلك موارد. لذلك فإن ما يقلقني هو تفوق استخباراتي لفترة طويلة ، مثل صراع متواصل على غرار الانتفاضة أو مقابل الإرهاب المتواصل. هل بإمكانك القول 'إنني أنجح في الحفاظ على تفوق استخباراتي دائم على الخصم ؟ فهذه ليست حربا لأسابيع معدودة مثلما حدث في العراق. وصحيح أن التكنولوجيا تمنح أفضليات كثيرة، لكن صحيح أيضا أن الخصم ليس كيان دولة بحكم مركزي، وبإمكانه أن يمتزج في المحيط المدنى بحيث لا تتمكن من معرفة ما الذي يحدث لديه».

وقال فركاش في هذا السياق إنه «من أجل خلق تفوق استخباراتي على كيان يعمل ضدنا دون توقف ولفترة زمنية طويلة، مثل الفلسطينيين، فإن علينا إقامة بنية تحتية مؤلفة من مركبات تعرف الخصم معرفة داخلية ، لدينه وثقافته واقتصاده ونسيجه الاجتماعي والخلافات داخله وعلاقاته مع العالم الخارجي وما إلى ذلك. ونحن ملزمون بأن تكون لدينا القدرة طوال الوقت على معرفة مجريات الأحداث اليومية لدى القيادة والمجموعة والحمولة والخلية والفرد. وعلينا أن ننقل ما نعرفه ونشعر به ليس فقط إلى أجهزة رد الفعل والمنع العسكرية وإنما أيضا بواسطة المصفاة لفهم القاعدة العميقة للكيان ذي العلاقة وبنيته الأساسية وجذور حله وما شابه. ونشاط كهذا يسمح بفهم التوجهات الموجودة وتلك التي ستظهر غدا وفي المستقبل الأبعد».

#### تناقض

ينطوى المفهوم العسكري الإسرائيلي على تناقضات، رغم التبريرات التي تدعيها إسرائيل فيما يتعلق بالدفاع عن النفس. ويقول تماري إنه «إذا وافقنا على الموقف الإسرائيلي السائد، بأن إسرائيل مارست قوتها العسكرية من أجل الدفاع عن نفسها، وهذا موقف يجدر التشكيك فيه على ضوء حالات عديدة في تاريخ تفعيل القوة العسكرية الإسرائيلية، وسواء أكانت إسرائيل أم جاراتها هي التي بدأت بالحرب، فإن حربين أثبتتا عكس الادعاء بأن إسرائيل كانت بحاجة إلى عمق إستراتيجي على شكل ضم أراض من أجل الدفاع عن نفسها. وأظهرت حرب ١٩٥٦ [أي العدوان الثلاثي على مصر] وحرب الأيام الستة أن إسرائيل كانت قادرة على الدفاع عن نفسها من خطوط وقف إطلاق النار من العام ١٩٤٩ ، بينما حرب يوم الغفران أظهرت أن الجيش الإسرائيلي لم يكن قادرا على الدفاع عن العمق الإقليمي الواسع بسبب بنيته الخاصة وبسبب مفهوم تفعيل القوة الذي بلوره الجيش الإسرائيلي في تلك السنين. والأجدر البحث عن السعى على مدار سنين لإقامة عمق إستراتيجي إقليمي في أماكن أخرى وليس في الاعتبارات الأمنية المباشرة».

من جانبه قال فركاش: إنه «على الرغم من أننا أسمينا أنفسنا جيش الدفاع الإسرائيلي، إلا أننا اعتقدنا وتصرفنا كجيش الهجوم الإسرائيلي. وقبل العام ١٩٦٧ لم يكن بالإمكان تحقيق انجاز في الحرب، وبالتأكيد ليس حسما، من دون هجوم. لكن بعد حرب الأيام الستة تغير الواقع من النقيض إلى النقيض، ونحن بقينا مع أنموذج الانجازات بواسطة الهجوم ومن دون أن ندرك أن هذا سيتحول إلى عقبة في مفهومنا المركزي. . . ورفض جميع الاقتراحات التي طرحها السادات، والصعوبة في فهم أنه لا يمكنه أن يقبل قناة سويس مغلقة مع المدن المقفرة، وكل هذا فيما الجيش الإسرائيلي يتواجد على بعد مئات الأمتار من قلب الأراضي المصرية. وعمليا فإننا لم نُبق أمامه أي مخرج باستثناء الحرب، إذ أننا لم نفعل شيئا لمنعها».

وتطرق الضابطان إلى الإنذارات التي يتعين على الاستخبارات أن توفرها في حال عبر زعيم عربي عن رغبته في تسوية أو التوصل إلى سلام مع إسرائيل.

وأشار فركاش إلى أن الاستخبارات بدأت تتساءل في أعقاب إعلان السادات عن استعداده للمجيء إلى إسرائيل ما إذا كانت

137

نواياه حربية أم سلمية «ولماذا قرر السادات التوجه إلى مسار مختلف تماما؟ ما الذي دفعه إلى ذلك؟ كيف حدث أن عرفات وافق على مفاوضات حول تسوية أوسلو؟». وفي هذا السياق لفت تماري إلى أن رئيس هيئة أركان الجيش الإسرائيلي ورئيس «أمان» حذر القيادة السياسية الإسرائيلية من مبادرة السادات ومن احتمال أنه يخفي نوايا أخرى. لكنه عزا ذلك إلى أن رئيس الحكومة الإسرائيلية حينذاك، مناحيم بيغن، لم يطلع وزير الدفاع ورئيس هيئة أركان الجيش على الاتصالات السرية التي كان يجريها مع مصر بوساطة الرئيس الروماني، نيكولاي تشاوشيسكو، وعلى لقاء وزير الخارجية الإسرائيلية، موشيه دايان، ونظيره المصري تهامي في الرباط وتحت رعاية ملك المغرب الحسن الثاني.

# عرفات: «رجل بعشر أرواح»

في نهاية الكتاب يتحاور فركاش وتماري حول ثلاث شخصيات في محاولة لرسم خطوط عريضة للرئيس الفلسطيني الراحل، ياسر عرفات، والرئيس السوري، بشار الأسد، وأمين عام حزب الله، حسن نصر الله.

وبخصوص عرفات يقول فركاش «إنني أنضم إلى أولئك الذي وصفوه [أي عرفات] بأنه 'رجل بعشر أرواح'. إذ أننا أكثر من مرة لاحقناه وحاولنا إضعافه وإضعاف حركته، وفي كل مرة كان يثب من جديد. . . ونحن أنقذناه من التعقيدات اللبنانية في العام ١٩٨٢. ومن دون أن نقصد سمحنا له بالخروج كبطل. صورته كبطل بدأت هناك، وعندما كان وضع حركته [فتح] في أسوأ حال، ومن دون أن تكون هناك أية دولة جارة لإسرائيل تسمح له بالعمل من أراضيها ودب الروح في الكفاح. وبعد الضربة التي تم توجيهها للحركة في لبنان، حظى عرفات بفرصة ثانية، وأن يكون الممثل الوحيد للفلسطينيين. واحتل أيضا مكان الملك حسين، الذي فك ارتباطه من الضفة الغربية في العام ١٩٨٨ وسُحب منه الحق في تمثيل القضية الفلسطينية في العالم العربي. وعرفات لم يستغل الفرصة، والانتفاضة الأولى فاجأته. وهذا المثال يجسد مدى انقطاعه عن الشارع. والفشل لاحقه في اتفاق أوسلو أيضا. وأعتقد أن المؤرخين سيتناولون مسألة إلى أي حد أدى تغيير الحكم عندنا بعد اغتيال إسحق رابين لفشل عملية أوسلو. وأنا أنتمى إلى أولئك الذين يعتقدون أنه من دون علاقة لما كنا سنفعله، فإن عرفات كان سيفشل أية خطوة

إيجابية من حيث المصلحة الفلسطينية، أي التقدم نحو إقامة دولة فلسطينية».

وتابع فركاش أن عرفات «لم يكن مستعدا لدخول التاريخ كمن وافق على التوقيع على تقسيم أرض إسرائيل/ فلسطين بين الشعبين. وبنظره أن 'النكبة'، أي إقامة دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨، كانت فشلا، وهو لم يرد أن يُعتبر اتفاق أوسلو 'نكبة' ثانية. اتفاق أوسلو أعاده إلى فلسطين المحتلة، وهذا كان انجازا بالنسبة له. لكن اتفاق أوسلو كان يعني أيضا التنازل عن قسم كبير من الحلم الفلسطيني. وهو لم يكن مستعدا لموافقة حقيقية على [حل] دولتين للشعبين، الذي كان سينهي الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني وربما الصراع الإسرائيلي – العربي أيضا».

وتطرق فركاش إلى عرفات من خلال الأحداث التي جاءت بعد وفاته. وقال إنه «منذ موت عرفات وبدء عملية الانتخابات في قطاع غزة فقدت فتح هيمنتها. وحدث الشرخ بين الضفة وغزة، والفلسطينيون بأنفسهم هم المسؤولون عن ذلك. وهذه العملية هي النقيض الكامل لكل ما حلم به عرفات وتوقعه. لقد أراد أن يربط بين الإقليمين الجغرافيين بدولة فلسطينية واحدة. وعرفات لم يكن ليسمح أبدا بحدوث شرخ كهذا وكان يفهم العواقب المدمرة لانتخابات حرة في السلطة الفلسطينية. وقد رفض ذلك دائما، ولا شك لدي في أنه ما كان سيجري انتخابات توصل حماس إلى الحكم».

وأشار فركاش إلى أن «أحد الانجازات التي بالإمكان ربطها بعرفات هو نجاحه في إقناع العالم الغربي بأن إسرائيل هي واحدة من الدول الوحيدة في العالم التي ما زالت تحتل، وقد أدخل في رؤوس السياسيين في العالم مصطلح الاحتلال. واليوم، فإن أي تفكير وتدقيق وبحث في القضية الفلسطينية في العالم يبدأ بكلمة احتلال. . . لكن عرفات، الزعيم صاحب الرؤيا، لم يتميز برؤية ما ستلده الأيام. لم تكن لديه القدرة على توقع ما يمكن تحقيقه من الحلم . وربما يرى الفلسطينيون فيه إستراتيجيا وزعيما غير عادي في الفترة التي تسبق قيام الدولة».

واعتبر فاركش أن «مفهوم الحكم لدى عرفات كان وفقا لسياسة 'فرق تسد'. فلقد نمّا أزواجا متخاصمة ومتكارهة تصارعت فيما بينها حتى تسيل الدماء: أبو علاء وأبو مازن؛ جبريل ودحلان؛ أبو جهاد وأبو إياد وغيرهم. وهم لم يسمح لأحد بأن يجمع قوة أكبر مما ينبغى».

#### الأسد

يرى فركاش أن الرئيس السوري السابق، حافظ الأسد، لم يهيئ نجله، الرئيس الحالي، لقيادة سورية، وأن بشار الأسد نفسه لم ير مستقبله كخليفة لوالده. رغم ذلك فإنه لدى دراسة شخصية بشار الأسد وسياسته ينبغى أخذ الإرث الذى خلفه والده بالحسبان.

وأشار إلى الناحية الطائفية في سورية وقال: إن «بشار الأسد جاء من عائلة مرموقة في الطائفة العلوية الحاكمة، وهي أقلية تشكل عشرة بالمئة في سورية ذات الأغلبية السنية. وتعتبر الطائفة العلوية ذات مكانة متدنية في الإسلام».

وتطرق فركاش إلى الجانب الأيديولوجي للرئيس السوري الحالي، قائلا: إنه في هذا الجانب توجد هضبة الجولان «التي فقدتها سورية [واحتلتها إسرائيل] في عهد الأب، حافظ الأسد. والأداة التي تعين على الأسد الاستعانة بها لمواجهة هذا الجانب الأيديولوجي هو العزة القومية السورية». ووصف فركاش مكانة سورية في الشرق الأوسط بأنها في المستوى الثالث. فهناك أربع دول عظمي إقليمية مهمة في المنطقة هي مصر وإسرائيل وتركيا وإيران. والمستوى الثاني يضم دول الخليج الغنية والعراق وليبيا. وسورية موجودة في المستوى الثالث إلى جانب الجزائر والمغرب وتونس. واعتبر أن سورية «بقيت على الخريطة بفضل دعم الأسد للإرهاب». وأضاف أن «ثمة نقطة أخيرة تتعلق بالجانب الأيديولوجي وهي الإيمان بالبطش. والدليل هو التعامل الوحشي والدموي الذي يتعامل فيه بشار مع أبناء شعبه في الفترة الأخيرة، ربيع العام ٢٠١١. وقسوته ليست بعيدة عن تلك التي مارسها والده الذي ذبح الإخوان المسلمين والأبرياء في العام ١٩٨١ [في إشارة إلى أحداث حماة]. وبرأى النظام السوري التقليدي فإن اللبنانيين يفهمون لغة القوة فقط. ولذلك وقعت في السنوات الأخيرة عمليات اغتيال بحق عشرين شخصية سياسية . إضافة إلى ذلك فإن الأسديكن نوعا من الاحترام لنصر الله والمقاومة. وهو لا يحاول فرض نفسه على نصر الله لأن لديه قوة».

وأشار فركاش أيضا إلى ضلوع سورية في أحداث متعلقة بالعراق بعد الغزو الأميركي له في العام ٢٠٠٣. وقال إنه «في السنوات الأخيرة كانت سورية ضالعة في أي حل في العراق لأن حدودها ليست مغلقة بإحكام أمام نشطاء إرهابيين من الجهاد العالمي وتنظيم القاعدة الذين ينتقلون من سورية إلى العراق. والأميركيون غاضبون على ذلك لأنه بإمكان سورية إغلاق الحدود مثلما بإمكان مصر أن تغلق الحدود مع قطاع غزة ومنع إدخال أسلحة خارقة للتوازن. وعندنا هناك الحدود

في هضبة الجولان، ورغم أن طولها ٨٠ كيلومترا إلا أنها الحدود الأكثر هدوءا لدولة إسرائيل».

# نصر الله

يقول فركاش: إن الأمين العام الحالي لحزب الله صعد إلى قيادة الحركة في عهد الثورة الخمينية. وقد تلقى نصر الله تعليما شيعيا في كربلاء وفي مؤسسات دينية شيعية في العراق. وبعد أن تولى منصبه الحالي، في أعقاب اغتيال إسرائيل أمين عام حزب الله السابق، عباس الموسوي، «غيّر نصر الله مواقفه وتأثر بالأيديولوجيا الشيعية المتطرفة وبمواقف عماد مغنية [القائد العسكري لحزب الله الذي اغتالته إسرائيل في دمشق قبل ثلاث سنوات]. واغتيال موسوي اضطر نصر الله إلى دخول منصبه وهو لا يزال شابا ويفتقر للتجربة، ويخيل لي أنه كان في الثامنة والثلاثين. وبهذه المعطيات كان صعبا على اللبنانيين والشيعة في لبنان والاستخبارات الإسرائيلية أن تقيم الميزات الشخصية للخليفة الشاب وغير المعروف لموسوي».

وأضاف فركاش أن «نصر الله استخدم مشاعر الانتقام لدى الطائفة الشيعية في لبنان تجاه إسرائيل بسبب اغتيال عباس الموسوي، واستغلها لصالحها ومن أجل تعظيم نفسه. وفي بداية طريقه رأى بنفسه زعيما لبنانيا محليا غايته تغيير غبن قديم. ورأى أن الطائفة الشيعية لم تحظ ببنانا محليا غايته تغيير غبن قديم. ورأى أن الطائفة الشيعية لم تحظ لبنان. وفي الفترة التي حصل فيها على الزعامة كان واضحا أن الطائفة الشيعية هي أكبر طائفة في لبنان. كانوا يشكلون ثلاثين بالمئة واليوم ما بين ثمانية وثلاثين بالمئة إلى أربعين بالمئة. ورأى أن هناك فجوة إشكالية وحقيقية في الدستور اللبناني، الذي لا يمنح الطائفة الشيعية في لبنان الحقوق نفسها التي حصلت عليها الطوائف الأخرى. ولذلك بدأ العمل بجد من أجل تغيير التوازن الذي يميز ضد الشيعة في لبنان، وأحد السبل الأساسية لتغيير الغبن كان تنمية الكراهية تجاه إسرائيل».

وتابع فركاش أنه «في نهاية الحرب الأهلية اللبنانية بدأ حزب الله يحصل على ميزانيات من إيران في إطار تصدير الثورة الإيرانية . . . وبنظرة إلى الوراء ، بالإمكان القول إن زعامة نصر الله والطريقة التي استخدمها لقيادة الخطوات وربما أيضا حقيقة أنه منذ العام ١٩٨٢ كنا متورطين بالحرب في لبنان ، كل هذه الأسباب مجتمعة جعلته محركا للكراهية في لبنان . فالمكان الوحيد في العالم خارج إيران الذي تنتصب فيه راية الثورة الإسلامية هو لبنان ، ولنصر الله فضل كبير في هذا بواسطة استغلال الكراهية لإسرائيل » .